

قصص المعاصرة في ترجمة فرنسية

Anthologie de la Littérature Arabe Contemporaine: I. Le Roman et la Nouvelle.
par Raoul et Laura Makarius. Éditions du Seuil, 1964

جانب؛ فتبحث عن ذاتها الراسخة في الغيبية ديناً ولغة ، وتلتحق بظلمها الساعي الى المثال الجديد . من هنا يضحي الكلام على الاساليب واللغة بشأبة الكلام على أزمة الوجود العربي برمته . وبعد : أفليست اللغة « دار المراء » وموطن التقاء الفطري الحام والرافة الثقيف ، والتقاه الحميم الانساني بالحميم الالهي ؟ هكذا يغدو انتصار الاساليب واللغة انتصاراً اتنولوجياً حضارياً ، بحيث تبقى الذات العربية محتفظة بأصالتها ، متجددة من داخل ، ريثما يدرك الشوط الابعده . وليس أدل على هذا الصراع من نقشات الادباء انفسهم . فيستنفدها السيد بيرك صحافة ، ونقداً ، وشعراً ، ومسرحاً ، وقصصاً ، ومقالة ؛ وفي هذا العطاء الادبي يبصر بواقع الاشواق ، والتحرق ، والقلق ، والانتظار ، واليأس ، والتعالي ، وقد جمعت كلية المأساة في مداد الادباء ، من تونس الى العراق . يحيط على دقة ، ويحمل على عمق ؛ يلتقط الحياة وهي في سهمها ماضية ، وتمثل الفكر لناظريه مثول الكائنات تحيا بحياة .

اما المدخل الذي مهد به المترجم راوول مكاريوس لنقله فلا يعدو ان يكون ملحقاً للعوامل العامة التي وجهت الاقلام تبياناً لأدوار الادب . ثم اردعه اعتذاراً تقليدياً عما تخلف عن ذكره . وهذا ما لا ينجو منه مختار . ثم اوضح جانباً من المصاعب التي صادفها في نقل البوارق من طبيعة التخييل العربي الى ما يطارح الفرنسية في معادلات المجاز والصيغ . وجعل المختار القصصي على بابين : باب المؤسسين ، على حد تسميته ، فاضطفى له ثمانية من لبنان ، وتسعة من مصر ؛ وباب « النهضة الجديدة » ، فرع مضمونه تبعاً لما يلي : من مصر ١٢ ، العراق ٩ ، سوريا ٢ ، فلسطين ١ ، لبنان ٥ ، السودان

هوذا الجزء الاول من « مختار الادب العربي الحديث » مترجماً الى اللغة الفرنسية ؛ طليعة اجزاء ثلاثة يتوقع ان يتضمن الثاني منها مقتطفات تمثل صفوة مجهودنا في النقد الادبي الطارف ، وان يضم الثالث جنباً من ديوان الشعر خلال المائة الحالية . وليس بدءاً ان تتوفر المكتبة الفرنسية على نقل بعض من النشاط العربي الى العالم ، ذلك ان التفتح الانساني في الحضارة الفرنسية ما برح موصول الرسالة في تصيد القيم أينما وقعت ، حتى يعمم البلدي المحلي ويرد عالمياً . وفرنسا عممت بيرانديلو ، وغبريلا ميسترال ، وجورج سفيريس .

وحسب اللجنة القيمة على هذا الوصال ان تعهد الى العلامة الفذ جاك بيرك في توجيه الروح العام من صنيعها . فان السيد بيرك من اعشق علماء الاجتماع في زماننا ، واوتقهم ادراكاً لقضايا العالم العربي ، وأرهفهم حساً بخواجه ، واوغلهم التماساً لحقيقة الحياة النامية فيه . وشأنه في تحري الحياة العربية شأن المتبصع لناموس الوجود من جذوره الانسانية الاصيلية الى موسمه المنتظر ؛ وبتقصيه التفاعل الكياني ، يتقصى نمو الحياة واستمرار بقائها . ومن ابرز ما تلمحه لديه ، ان العقل النافذ قد شابه لون من حنوة وانعطاف كأنما تاريخ الشعوب المتأثرة للعافية معضلة وجدانية من معضلاته ، يرى فيها التحول الحصب الذي لا يراه في المجتمعات الشائخة والحضارات المثقلة بكآلاتها .

فقد مهر الاستاذ بيرك هذا المجلد بمقدمة مكثفة هي العلو الساطعة في الكتاب . اذ طلق يتقرى حقيقة الشخصية العربية في واقعها المعاصر ، بازدواجيتها وانكسارها وتزقها ؛ تشدها ، حتى التعالي ، عراقة التراث وقيمه الباقية من جانب ، ويحدوها التوق الى مجازاة التقدم البشري من

الزمن . وان صح ان لكل قطر دواعيه ودوافعه ، فان ثمة وضعاً وجودياً وكيانياً متقارب الفواعل . خامساً ، لم يصطف من الانتاج اجوده ولا أبينه تمثيلاً للغرض احياناً ، كأن يتخذ مقطعاً لتوفيق الحكيم من كتابه « يوميات نائب في الارياض » ، وللكتاب حلقات من القصص القصير الرائع ؛ او لا يختار لطله حسين غير مقطع «ام تمام» من « المعذنين في الارض » ، وينسى اقصوصة مارون عبود « حجارة الضيعة » .

سادساً ، ثم ان الترجمة ضرب من تكريس الادب المترجم ، وفيه من المسؤولية الخلقية ما يحمل المترجم على اختيار غريبال ادق ليكون المنقول الى الفرنسية تمثيلاً على اعلى ما ادركه الفن القصصي عندنا . والا جاء الرسم مخالفاً للأصل ، ومعنى القسطاس بالتواء سابعاً ، يتبين للقارئ ان الترجمة ليست على مستوى واحد من الأمانة ، والأمانة ، وطيب النغم . وفيها هي سليمة على الجملة في القصص الواقعي ، تراها وقد اعتورها بعض الحيد والخلل حيثما يخضب النص العربي بالجاز . فتقع على ثلاثة اخطاء ، مثلاً ، في فقرة واحدة (ص ٦٠) مداها اسطر خمسة .

وبعد ، فانه لجليل عظيم توليناه اللجنة المشرفة فتنتقل للعالم من ادبنا الحديث مقتطفات . غير ان في انتاجنا من الغرر فوق ما رسموا . فاتهم عدد من المبرزين ، ولذين اختاروا لهم عطاء اجود من هذا العطاء . ولكننا نؤثر ان نخرج الى ادب الدنيا ، وعلينا وشاح اروع من بعض الخلق الواهن الذي تخلل هذا المختار .

لا ! فمذر جريدة « الموند » الفرنسية ، تشي على هذا الصنيع من علوها الركين . وعذر القيمين على هذا الصنيع ، فانهم محضوا الانتاج العربي اخلاصاً خيراً ، ان جاء ما اعطوه دون ما صبوا اليه .

١ ، تونس ه ، الجزائر ١ ، مراکش ١ . وأغلق الكتاب على خاتمة في ثنائي قطع دعاها « بجوئا » . وفيما يوضح المقدم ان الغرض من هذا المعرض القصصي انما هو التقاط الحياة كما يتمثلها العرب ، والطواف معهم حول قضاياهم ، يحدد المترجم ان الغاية التي اليها هدف انما هي نظرة مجملة تلتقى على الادب القصصي العربي ، في القرن الحاضر . وفي وسعك الاغضاء عن التفاوت في تحديد هذا الغرض ، يجعلك هذا المختار الادبي سبيلاً الى خلاصة فلسفة اجتماعية .

ثم ان لهذا الصنيع من الفضل ما يتعذر الآن تحديده : فالصنيع حادث بعد ، والنتائج فوق ان تقدر وتحصّر .

غير ان لنا على هذا المعرض الادبي مأخذ نرتجي بها تفادي الخلل ، فمنها :

اولاً ، لا نرى مسوغاً لتسمية الفئة الاولى بطبعة « المؤسسين » : فالرحلة التأسيسية ترقى الى فرنسيس المراس (متوفى ١٨٧٣) وفاسوس الشدياق (١٨٨٧) وابراهيم اليازجي (١٩٠٦) وغيرهم .

ثانياً ، يجعل المترجم في هذه الفئة نفسها بعض من لا يمثلون الفن القصصي حقاً ، ويفغل جرجي زيدان ، وطانيوس عبده ، وكرم ملحح كرم من بعد ؛ وكان عمر فاخوري وسعيد تقي الدين لا يدخلان في حساب !

ثالثاً ، انه اقحم في رعييل واحد من ليس يجمعهم سبب : فأنى يقع يعقوب صروف ، وتوفيق يوسف عواد ، في فقرة واحدة وبينهما من التفاوت في النوع ، والقضايا ، والنمط ما يحول دون العشور على قدر جامع مشترك !

رابعاً ، ليس في التقسيم المعتمد وفقاً للاقطار العربية ما يسف القارئ ، الاجنبي والعربي بالسواء ، على الاحاطة الشاملة بالتيارات التي نجهاها الفن القصصي ؛ ولكن الأولى ان يساق الترتيب تبعاً لهذه التيارات ، في دواعي تولدها . وتطورها مع